

قَوْلُ بَدِيعِ الْخَوَّيَّةِ

السَّكَمُ الرَّحَالَةُ

Les mots arabes à travers les siècles.

هل خطر على بالك ان السَّكَمُ ترحل ؟ اي انها ترحل من بلد الى بلد ، ومن قوم الى قوم ، فتتزيا بازياء الامم التي تندمج فيها ، كما ان الرحالة يتكلم بالسنة اهل الديار التي يرحل اليها ليقضي ليلاته ؟

فان كان قد عن على بالك هذا الامر ؛ فلقد طلبك هذا البحث مرارا اذ رأيت العجب من هذه الاسفار التي يدعش لها المفكر ، وان لم يبرم مخاطرك فانا اعرض عليك كلمة تكون مثالا لتلك الاسفار التي تقوم بها امثلة تلك المفردات . فهذه كلمة (الفتى) ومؤنثها (الفتاة) تراها جلست خلال البلاد ، وانتقلت الى السنة كثير من العباد . فان الفرنسيين والاسبانيين والبرتغاليين يسمون الفتاة Puta والفتى Putus والاطاليون Putta وكلهم اتخذوها بمعنى الفتاة العربية اللفظ . اي الصبية ، ثم معناها العربي الثاني اي الامة . ولما كانت الامة معرضة لخطر الفساد لكثرة ما تخدم من انواع الناس في جميع الطبقات ، صارت بمعنى البغي كما انتقلت كلمة « فتاة » نفسها وامة مرادفتها الى هذا المعنى .

فالفتيات على ما هو مشهور الامة . وقد وردت الامة بمعنى البغي . كما اشار اليه ابن الاعرابي اذ قال : يقال للامة فرتنى . وكذلك فعل الفرنسيون فانهم سمو البغي Putain وكان اصل معناها الفتاة بالمعنى الحسن ، ثم حل بمعناها ما حل بمرادفتها العربيتين . ولا يلفظ ادب منهم بهذه الكلمة بل يشار اليها بحرفها الاول ان تكلموا وان كتبا .

فهل اخذ العرب لفظهم الفتى ومؤنثها الفتاة عن الغربيين ام الغربيون اخذوها عن العرب ؟ فالذي اراده انا ان الافرنج اخذوها عن العرب على ما يظهر لي . قال لير attire في معجمه الفرنسي الكبير : تاريخ اللفظة يرتقي [ورودها

في الفرنسية] الى القرن الثاني عشر (ثم ذكر عدة شواهد من كلام قلعاء كتبهم من قرن الى قرن ، ثم قال : اصلها كصل Pute ثم ذكر وجودها في سائر اللغات فقال : باللغة البروقسية والإسبانية Puta وبالإيطالية Putta وباللاتينية Puta ومعناها الفتاة . كما ان Putus هو الفتى اي الشاب الى آخر ما قال . ولم يذكر ابدا ان اصلها عربي اوسامي .

على اني بحثت عما يقابل هذه اللفظة في اليونانية فوجدت Pais واذا اضيفت قالوا Paidos وفي هذه الكلمة اليونانية لغات عديدة بموجب قبائل اليونانيين الاقدمين ، على ما يرى نظيره في لساننا ، اي ان الكلمة يتلفظ بها باختلاف وجيز يعرف باللغة اوبالغية . ونحن لانعرض لمختلف اللغات اليونانية اذ كلها ترجع الى هذا الاصل الفصيح ..

وانت تعلم ان لغويي الافرنج يقولون ان اللغة اليونانية فرع من الهندية القديمة الفصحى ويسمونها السنسكريتية ، فهذه هي الام وتلك البنت والحق يقال ان الفتى بالهندية القدي Pota-h ومعناها الفتى من الحيوان وبالزندية : فثرا وبالفارسية القديمة : فثرا ، ويلفظ بالراء لفظا مختلفا لا يكاد يشمر به ، ومعناها الابن والولد . واذا تتبعنا على هذا الوجه جميع اللغات الاوربية المتولدة من اليونانية او الهندية الفصحى ، لما خرجت عن حيز هذه المادة إلا بعروف الملة وهي مما لا يعتد به عند علماء اللغة .

واذا سألت بعض المتعصبين للغريين ولو كانوا من ابناء العرب ، عن اصل الفتى امن اصل سامي ام من اصل آري ؟ او بعبارة اخرى : هل العرب اخذوا لفظهم عن الارين ، ام الاريون (وهم اجداد العنود والفرس والافرنج) اخذوا لفظهم عن العرب ؟ — قالوا لك حالا : العرب اخذوا لفظهم عن الارين ولا حاجة الى لقاء هذا السؤال عني على ابناء العرب الارين ، فانهم يقيمونك ان العرب تلقوا لفظهم عن اجدادهم ولا يجوز النزاع الى رأي آخر .

اما نحن فنخالف الجميع ، وان اقمنا اهل السمله والارض طينا اقمنا نقول ان الارين اخذوا لفظهم عن العرب او الساميين . لاسباب منها :

١ — ان الفتى العربية متصل بمواد اخرى عربية كثيرة . ولا سيما بمادة فت (وما الشد في الآخر او تكرير الحرف الاخير إلا من باب اظهار الحرف

الآخر وتحقيقه بالتاء لئلا يمتزج بحرف آخر كالتاء او الطاء لو الدال او بغيرها - وكذلك القول عن الناقص اي زيادة الالف في الآخر هو من هذا القبيل ايضا اي هو من باب تحقيق الحرف الاخير) فالفتى على الحقيقة وحيد العجا او المقطع فهو (فت) لا غير . والعريية في الفاظها الواحدة المقطع على هذا الوجه كثيرة : اكثر مما يرى في سائر الالفاظ . اذن العريية اقدم سائر اللغات المعروفة .

٢ - ان لمادة (فت) معاني تؤيد مشتقات الفتى . فالفتى : دق الاشياء وكسرها بالاصابع . وما يفتت لا يكون إلا صغيرا .

وهناك فرع آخر هو فتأ الشيء . بالهمزة في الآخر) ومعناه كسره ايضا : ثم هذه الهمزة تفنم فتصير جاء فتقول فتح . ومنها : فتح القناة فجراها ليجري الماء فيسقي الارض : وما يفجر يصفر .

وقد تزاخرا على آخر (فت) فتصير (فتر) يقال : فتر الشيء ، سكن بعد حدة وفلان فتر عن العمل : انكسرت حدته ولان بعد شدته . والحر انكسر . والماء : سكن حرا . وفتر جسمه : لانت مفاصله وضعف . وترى في كل هذه المعاني اللين والانكسار وهو يرجع الى الصفر والتجزؤ ايضا .

ثم انتقل الى ما يلحق مادة (فت) من حروف تكسبها بها . فيكون عندك فتح الشيء : اي وطئه حتى يشدخ - وفتح الشيء شقه وخلاف رتقه - وفتح الرجل : ركب ما هم من الامور ودعت اليه النفس : كما انه صير تلك الامور صغيرة لما به من شديد الهمه واسرها .

فهذه الفروع على تشعبها وتفنتها تدل على ان مادة (فت) عريية الوضع وليس لسائر اللغات ما يضاهيها . فلكون اللفظة وحيدة العجا هو احسن دليل على قمتها . فهل يستطيع الغير ان ياتونا بمثل هذا البرهان القاطع ؟ اما كيف اخذ اليونان او الآريون من هنود وغيرهم هذه اللفظة عن العرب ؟ او عن الساميين ؟ قلنا : هذا كان في المصور المواجهة في ظلمات القدم : حينما كانت تلك الامم متجاورة محتلطة حابلا بنابلها .

وعندنا من هذه الالفاظ شيء كثير : تثبت قدم اللفظة العريية او اللغات السامية وتفوقها عليها جميعها : تلك اللغة الضاربة التي ضاهت بوضعها محاذ الطليمة على تشعب ما يسمع فيها من الاصوات المتعددة .

نعم ان رأينا لا يوافق كثيرين من ابناء الغرب وجا غفيرا من الشعوب

اصل علامات التانيث في العربية

في لغتنا ثلاث علامات للتانيث : الاء او التاء . كما في اديبة لمؤنث اديب و بنت لتانيث الابن . والهمزة مثل صفراء لمؤنث اصفر . والالف كقولك الكبرى وانت تريد مؤنث الاكبر . فمن اين اتتنا هذه الحروف ؟

لاجرم ان الحروف الموجودة في لغتنا هي اثر كلم كانت تقوم مقامها . ثم استغني عنها استغناء من يكتفي بالاثري عن الاصل وبالصورة عن المثال . والذي بلغ اليه بحثنا ان هذه الحروف مقطوعة من كلمة واحدة هي « انثى » وهي تكتب بالارمية « انثى » بتاء مشاة وتلفظ « انثى » باسقاط التون . فهي في رأينا اصل الحروف المستعملة عندنا في التانيث . فقولك اديبة اصلها اديب انثى ، فاستغنوا بالتاء او بالهاء عن بقية اللفظ . ولانثى لفظ يقع على من ينقل ممن ليس من الذكور ، وعلى ما لا يعقل . ولهذا صح ان يقدر هذا اللفظ لاغيره . وقولنا « صفراء » فمعناه « اصفر انثى » قالوا في اول الامر : « اصفرآء » ثم كرهوا ان تكون همزتان في اللفظة الواحدة فحذفوا الاولى وابقوا الثانية التي في الآخر لتقابل الهاء او التاء في سائر الالفاظ . وكذا القول في « الكبرى » فان اصلها « الاكبرا » ثم تصرفوا فيها تصرفهم في الصفراء مثلا . ولنرجع الى لفظة انثى واصلها :

ان كنت واقفا على بعض اصول اللغات السامية تذكر ان ما كان يلفظ به العرب بالتاء اصله في اغلب الاحيان شين بالعبرية مثلا ، والانثى يقابلها في هذه اللغة « انشى » التي هي تخفيف « انشى » وانشى هي مؤنث « انش » الذي معناه الانسان او الانس . والنسوة في لساننا جمع انس المحولة عن انشى ، لاننا نحادثنا لما جهلوا الاصل قالوا ان النسوة وكذا النساء هما جمع امرأة والعامل يأنف من ان يصدق هذه الخرافة والحق ما ذكرناه اي ان النساء والنسوة جمع كلمة مائة عندنا وهي « انسة » ومعناها الانثى وهي محفوظة في قولهم انسانة مؤنث انسان على ماروي عن بعضهم بل محفوظة في كلمة « انثى » التي اصلها « انسى او انشى » على ما تقدم التصريح به .

لكننا نقيم من ادلتنا المتعددة . ومن اكوام الالفاظ النبعة ما يقوم بوجههم جلا لا يمكن هلم او نسفهم ؛ بل ازالته عن موضعهم ولو قيد شمرة !